

الوضع القانوني للمرأة الأثينية في ضوء مسرحيات مناندرس

د. عادل سعيد النحاس

كلية الآداب - جامعة القاهرة

دور المرأة الأثينية في الأسرة :

احتلت المرأة الأثينية في القرنين الخامس والرابع ق.م مكانة متدنية من الناحية القانونية والاجتماعية، بل كانت مكانتها أدنى من مثيلاتها في المدن اليونانية الأخرى ، كما كانت أدنى مكانة من نظيراتها عند هوميروس، فقد كانت تحيا بصفة دائمة في كنف الرجل أو تحت سيطرته : فالأب له سلطة شبه مطلقة عليها ويدير شؤونها قبل الزواج ، وبعد الزواج يقوم الزوج بنفس الدور. وكان أقصى ما تسعي إليه المرأة هو الزواج وإنجاب الأطفال وتربيتهم، ولذلك فقد نشأت الفتيات الأثينيات بطريقة مختلفة عن الفتيان، فالأولاد يتم إعدادهم منذ سن مبكرة ليصبحوا رجالا، أما الفتيات فيتم إعدادهن ليحافظن علي عفافهن حتى يتزوجن ، فيقضين معظم أوقاتهن في المنزل مع النساء لا يغادرنه سوى للتزاور أو لحضور الأعياد الدينية ، كما يتعلمن منذ نعومة أظافرهن الأعمال المنزلية الهامة^(١).

غير أن هناك العديد من الصعوبات والتعقيدات التي تواجه من يقوم بدراسة وضع المرأة ومكانتها في المجتمع الأثيني ، فالمرأة هي الربة والأمة ، هي الزوجة والمحظية. وقد تضمن مجمع الآلهة اليونانية الربة " هيرا " الزوجة ، والربة " ديميتير " ، الأم ، والربة " آرتميس " ، التي تمثل المرأة التي نبذت الزواج ورغبت عن الأمومة ، مما دفع بالفتيات لتقديم عرائسهن ولعب الطفولة لمعبدها عند زواجهن. والمرأة أمة لعواطفها تجاه

الرجل ، وهي زوجة لإنجاب الأطفال وتربيتهم وإدارة شؤون المنزل ، وهي محظية شقيقة إذا لم يكن لديها القدرة علي كبح جماح رغباتها والتحكم في شهواتها^(٢).

ولذلك ينبغي علينا عند دراسة موضوع المرأة التعرف علي صورتها في الأسطورة ، ووضعها القانوني في المجتمع من خلال الدور الذي تقوم به في الحياة اليومية ، ولكن مما يزيد الأمر تعقيدا أن كل المصادر التي وصلت عنها قد وردت عن كتاب ومفكرين من الرجال : فأفعالها وأقولها وكل القوانين التي تحكمها ما هي إلا نتاج لفكر الرجال وتصورهم لما يمكن أن تبديه المرأة أو تثيره من أراء.

لقد اتجه الفكر اليوناني منذ قديم الأزل إلي تصوير المرأة اليونانية بصورة متناقضة من وجهة نظر الرجال ، تلك الصورة التي قد تعكس تخوفهم من تهديد المرأة لمكانة الرجل وسلطته وحياته الشخصية ، بل وصحته أيضا ، ولذلك فقد قاموا بتصوير غالبية الربات اليونانيات اللاتي يطاردن ضحاياهن من البشر واللاتي يسلبن عقولهم ، مثل " ربات الغضب " أو الربة " ليسا " λύσσα ، من النساء ؛ فقد ولدن من " ἡ χθών " الأرض " ، كما كن يوصفن بأنهن من نسل " الليل " ἡ νύξ ؛ ولذلك ترتبط أنوثة المرأة بمولدها من " الأرض " وباختراقها للعقول ، وأيضا بسلوكها في " الليل " ^(٣).

كان مفهوم " المقدس " لدي اليونانيين يتماشى في نسيج واحد مع مفهوم " الدنيس " ، فكلمة ἄγιος أو ἄγιος " مقدس - طاهر " تنتمي بصلة مباشرة لكلمة ἄγιος ، دنيس - ملوث " . وفي اليونان ، مثلما هو الحال في الحضارات الأخرى ، فإن التكوين الجسماني للمرأة يعد تدنيسا للرجل ، وهناك تحريم لمجرد لمس المرأة في أثناء الطمث أو بعد الولادة ، وهناك تحريم أيضا لدخول الرجل إلى المعبد بعد الجماع ، وهم ينسبون ذلك إلى طبيعة التكوين الجسماني للمرأة وإلى المفهوم الذي يربط المرأة بما يدخل او يخرج من " الظلمة " سواء أكانت تلك الظلمة نابعة من العالم السفلي أو من جسد المرأة ^(٤).

وفي التراجيديا فإن المرأة هي من يطلق عليها بصفة أساسية كلمة ἔνθεος " ممسوسة - ملتبسة " ، أو كلمة ἔκφρων " مجنونة " ، مثل " كاساندر " في مسرحية "

أجامنون " لأيسخيلوس^(٥) ، و" فايدرا " في مسرحية " هيبوليتوس " ليوريبيديس ، وفي هذه المسرحية تسأل الجوقة " فايدرا " قائلة^(٦) :

يا حليقة الشعر، هل أنت ممسوسة

من الإله بان ، أم من هيكاتي

{الأبيات ١٤١-١٤٢}

ἦ σύ γ' ἔνθεος , ὦ κούρα,

εἴτ' ἐκ Πανὸς εἴθ' Ἐκάτας

..... ; .

وقد أدرك اليونانيون أن الصوت أو الصورة الخارجية قد توضح أي الآلهة هو صاحب هذا المس، مثلما هو الحال في اختبار الناي في مسرحية " فتاة ممسوسة " Θεοφορουμένη لمناندروس^(٧).

لقد قدمت لنا المصادر الكلاسيكية باختلاف أشكالها الفنية والأدبية صوراً متناقضة لسلوك المرأة ، فبينما تصورنا لنا التراجيديا امرأة قوية مسيطرة ، يحدثنا ثوكوديديس في الخطبة الجنائزية لبريكليس قائلاً :

τῆς τε γὰρ ὑπαρχούσης φύσεως μὴ χείροσι γενέσθαι
ὑμῖν μεγάλη ἡ δόξα καὶ ἥς ἂν ἐπ' ἐλάχιστον ἀρετῆς
περὶ ψόγου ἐν τοῖς ἄρσεσι κλέος ἦ . { 2. 46 }

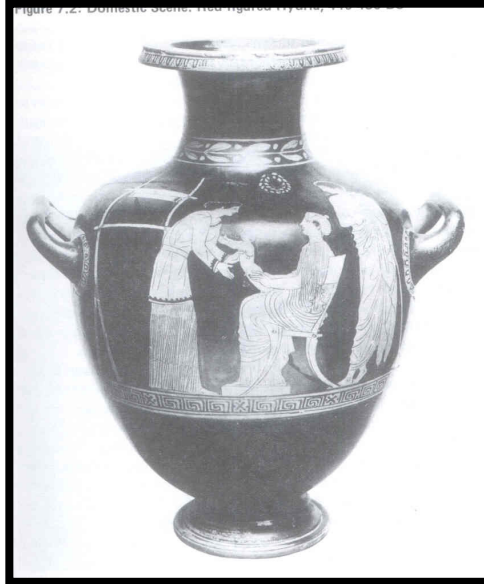
فالمجد الأعظم لمن لها مثل تلك الطبيعة ألا تكون الأسوأ بالنسبة لنا ،

ولمن تكون الأقل مثارا للحديث فيما يختص بالفضيلة أو اللوم بين الرجال .

فقد كانت المرأة الأثينية تعد من الممتلكات الخاصة بالرجل ، حتى أن معرفة الأثينيين بأنشطة المرأة الإسبرطية واختلاطها في المجتمع كان يصيبهم بالصدمة ، فالمرأة الأثينية الجديرة بالاحترام من لم يكن يُعرف حتى اسمها^(٨).

وبينما يري هيسودوس أن المرأة " شر جميل " ^(٩) καλὸν κακόν - وهي شر لأنها غير متعلمة ، فاسقة ، تنقصها القدرة على التحكم في النفس ، وهي السمة التي يبرع فيها الرجل - يعتقد أرسطو أن المرأة لديها القدرة على اتباع الفضيلة ، وعلى الفهم السليم ؛ ولذلك فهو لا يتفق مع الرأي القائل بأن " القدرة على التحكم في النفس " ἡ δικαιοσύνη ، و " الشجاعة " ἡ ἀνδρεία ، " والعدل " ἡ δικαιοσύνη هي من السمات الخاصة بالرجل فقط ، بل ويقر أرسطو بأن شجاعة صاحب السلطة الحاكم (الرجل) تكمن في إصدار الأوامر والقرارات أما الشجاعة المحكوم (المرأة) فتكمن في طاعتها لتلك الأوامر ^(١٠). وعلى ذلك فوجود المرأة يعد من الأمور الضرورية لبناء المجتمع.

لم يكن للمرأة الأثينية الحرية الكاملة في الانطلاق إلي خارج المنزل والاختلاط في المجتمع ، بل كان خروجها في حدود العلاقات الأسرية : كحضور حفلات الزفاف و الطقوس الجنائزية وبعض الاحتفالات الدينية ، كما كان يمكنها تبادل الزيارة مع جاراتها لفترة وجيزة من الزمن . أما في منزلها فقد كانت هي المسؤولة عن إدارة شئون بيتها ، وإنجاب الأطفال لزوجها ورعايتهم والاهتمام بتربيتهم ، وهو ما يظهر في شكل { ١ } الذي يصور لنا أنية مرسوم عليها امرأة تجلس في أبيه ثيابها ، ممسكة في يدها بطفلها. وبينما تحاول الخادمة الإمساك به ، يهيم نحوها للتشبث بها ؛ وفي تلك الأثناء يقف بجوارها ابنها الأكبر ، وهو شاب في ريعان الشباب ^(١١).



شكل {١}

لم تكن المرأة اليونانية بصفة عامة تقوم باعباء المنزلية بنفسها، بل كان لديها الخدم الذين يقومون بتلك الاعباء : فالخادمان يقمن بالطهي والتنظيف، وأحيانا بالعمل في الحقل، بينما يقوم الخدم من الرجال بمراقبة وحراسة بابا المنزل حتي لا يدخل أي شخص غريب الي داخل المنزل أثناء غياب رب المنزل، كما كانوا يهتمون برعاية وتعليم الاطفال من الذكور. اما الاناث فلا ينلن أي قدر من التعليم، ويعتقد اليونانيون أنهم ولدن وقد جلبن علي العنف والتهور^(١٣) ، غير مروضات، ينبغي تأهيلهن قبل أن يدخلن في حوار مع الرجال^(١٤)، فتنشأة الفتاة كترويض وتسييس المهرة، والزواج هو النهاية المحتمة لهذه التنشئة، كما يدخلها الزواج تحت عباءة الربة أمر وديتي^(١٥).

كان الفتيات اذن ان يلزمن البيت حتي يتزوجن، وكان عليهن مساعدة أمهاتهن في الاعمال المنزلية. ومن اشهر تلك الاعمال : غزل الاصواف، ونسخ بعض المتعلقات المنزلية،

وخياطة الملابس {شكل ٢} ^(١٦)، بل أن مشط المغزل أصبح في بعض الاحيان رمزا للإشارة الي الزوجة المخلصة، ومازالت صورة ينيلوبي، الزوجة المخلصة، ماثلة في الاذهان ^(١٧).



شكل {٢}

كانت المرأة الأثينية في القرن الخامس ق.م ادني في المكانة الاجتماعية من نظيرتها الاسبرطية، كما كانت في مرتبة أعلى قليلا من مكانة العبيد. ومن الممكن تصنيف مكانة المرأة الاجتماعية الي ثلاث طبقات :

الطبقة الادني وتشمل الاماء اللاتي يضمن بالاعباء المنزلية الشامة والحقيرة. الطبقة الثانية وهي الطبقة الخاصة بالمرأة الأثينية التي تتمتع بالمواطنة. أما الطبقة الثالثة فهي الطبقة الغانيات والمخطيات كانت المخطية تتميز عن الزوجة والامة بحصولها علي قدر من التعليم، كانت علي دراية كافية بالقراءة والكتابة، كما حصلت علي تدريبات في العزف علي الالات الموسيقية، كما كان مسموحا لها بالتواجد والتردد علي الاجور او الاماكن الاخرى التي لم يكن مسموحا بالتواجد فيها للاماء والمواطنات. وفي ذلك يحدثنا ديموستينيس

Τας μεν γαρ εταιρας ηδονης ενεκ εχομεν,
τας δε παλλακας της καθ ημεραν
θεραπειας του σωματος, τας δε γυναικας
του παιδο ποιεισθαι γνησιως και των εδον
φυλακα πιστην εχειν.

فلدينا غايات للمتعة الحسية، ومخطبات للاعتناء

براحة اجسادنا اليومية، وزجات لانجاب اطفال

شرعيين، وحارس امين للمتاع المنزلي.

ولذلك فقد اكتسبت المحظية أو العشيقة مكانة متميزة في قلوب الرجال وايضا في منازلهم بل وكان الحل الوحيد لمن يقع في رحب فتاه لا تتمتع بالمواطنة ولا يستطيع الزواج بها أن يبقيا قعة لمحظية أو عشيقة له. وقد يعتبر البعض أن هذا الارتباط هو ارتباط شرعي، ولكن اذا تعارضت المصالح تنكر الجميع لذلك الارتباط وبخاصة اذا كان لذلك الرجل املاك او ثروة، حيث يرفض اقاربة الاعتراف بشرعية أطفال تلك المرأة غير المتمتعة بالمواطنة وقد ظهرت مثل تلك المشكلات والقضايا في خطب العديد من خطباء تلك الفترة، مثل ديموستينيس، ايسايوس، ليساني.

ان التناقض بين المكانة المسيطرة للرجل وقابلية انكساره أو اخضاعه برغباته الجنسية هو الموضوع المتكرر في الادب المتعلق بالشهوات الجنسية، بداية من غواية الربة هيرا للاله زيزس في الالياذة، حتى الضدبة الجنسية للنساء في مسرحية "اليسيستراتي" لارستوفانيس، ثم افتتان الشباب بالغانيات في الكوميديا الحديثة.

وجدير بالملاحظة أن موضوع المرأة التي تجد نفسها في مواجهة امكانية مشاركة متاعها المنزلي مع محظية زوجها قد ظهرت عدة مرات في مسرحيات التراجيديات، مثل كليتمنسترا في مسرحية "أجاممنون" لايسخيلوس، ديانيرا في مسرحية "التراخينيات" لسوفوكليس، هيرميوني في مسرحية "أندروماخسي" ليوريببيديس. تلك المواجهات او المواقف التي لا تعد

مجرد حكايات درامية تقليدية للموضوعات الاسطورية، ولكنها ايضا انعكاس لاهتمامات الناس في القرن الخامس ق.م، في محاولة للتعاطف مع شاعر كل من الزوجة والمخطية، فلم تكن تلك الحكايات محصن خيال لشعراء بقدر ما هي انفعال بمشاعر الناس التي تجيب بها صدورهم اذا ما تعرضوا لمثل تلك المواقف. وقد ظهرت جليلة عندما منح الاثينيون حقوق المواطنة لابن بيركليس من محظية اساسيا عندما فقد ولديه الشرعيين بمرض الطاعون.

ان تقديم مثل تلك النوعيات من النساء في التراجيديا وأيضا في الكوميديا الحديثة يصور لنا بطريقة مسرحية ذلك التوتر القائم بين افراد الاسرة كتركيبة حقوق شرعية وبين افراد الاسرة كنسيج من الروابط والعلاقات الوجدانية^(١٩).

الوضع القانوني للمرأة :

عندما نتحدث عن الوضع الاجتماعي للمرأة من جميع جوانبه، وليس من منظور البيئة الاجتماعية التي تتحرك فيها وتحيط بها، فان ذلك الامر محفوف بالمخاطر لعدم ثبات معايير الحكم عليها. فالفرق واضح وكبير إذا ما تحدثنا عن مكانة المرأة ووضعها كإبنة أو كأخت أو كزوجة أو كأم وتظهر نفس الفروق والاختلافات إذا ما تحدثنا عنها كإمراة فقيرة أو ثرية.

وقد يعتقد البعض في عدم وجود علاقة بين مكانة المرأة القانونية ومكانتها الاجتماعية، وهو اعتقاد خاطئ، فالوضع القانوني هو جزء لا يتجزأ عند تحديد مكانة المرأة في تركيبة المجتمع، ذلك الوضع الذي حدده لها الرجل الذي قام بسن القوانين والتشريعات^(٢٠). وفي اثينا خلال القرنين الخامس والرابع ق.م كان الوضع القانوني لبداية فقرة للمرأة معروفا بدرجة كبيرة ومن الممكن التعامل معه بعدالة وبكل وضوح^(٢١). فالمرأة الأثينية أيما كانت مكانتها في الاسرة – كإبنة ، أخت ، زوجة ، أم – وإيما كان عمرها او وضعها الاجتماعي، هي دائما من وجهة نظر القانون امراة قاصر ، تتسم بعدم الاهلية الشرعية، أي أنها تخضع دائما وطوال عمرها للسيطرة القانونية للرجل "الوصي" عليها *οκυριος* ، وهو الذي يمثلها او ينوب عنها أمام القانون. فإذا كانت غير متزوجة فهي تحت "وصاية"

د. عادل النحاس

η κυριεια والدها أو اخيها من والدها أو جدتها لأبيها. أما إذا كانت متزوجة فتتقسم الوصاية بين والدها وزوجها، وهناك بعض الأدلة التي توضح امكانية أن يقوم والدها بفسخ عقد زواجها حتي وإن كان ذلك ضد رغبتها، وبخاصة إذا لم تكن قد أنجبت اطفالا، فإذا أنجبت طفلا أصبحت عضوا أساسيا في أسرتها الجديدة.

ومن امثلة ذلك ما جاء في مسرحية "المحكومون"^(١٢) لمناندروس حيث قام الوالد بفسخ عقد زواج ابنته بسبب تبديد الزوج صداقها. وفي نفس الوقت من الممكن أن يقوم الزوج بأداء واجبة تجاه زوجته كوصي عليها.

عند وفاة الزوج تخضع الزوجة لوصاية ابنها، إن كان لها أبناء، أو تعود لوصاية والدها إن كان ما زال علي قيد الحياة. فإن كان أبناءها صغارا فإنها تخضع لوصاية الوصي عليهم. وإن كانت حاملا عند وفاة زوجها فإنها تظل تحت وصاية ذلك الرجل الذي سيصبح وصيا علي طفلها بعد مولده، أي أنها مازالت تابعة لاسرة زوجها المتوفي^(١٣).

إن وجود "الوارث" ο επικληρος في القانون اليوناني يعد تأكيدا لانعدام الاهلية الشرعية للمرأة، فإذا مات الزوج تاركا إبنة له أو بنات غير متزوجات، فإنهن يصبحن ο επιδικος أي "من يمكن تحويل ملكيتهن أو الوصاية عليهن لشخص آخر". فكلمة ο επιδικος إذن تستخدم للدلالة علي "الوارثة" ο επικληρος وعلي الملكية التي تذهب معها، أو بمعنى أدق هي التي تذهب مع الملكية الي الوصي الجديد^(١٤).

إن مكانة "الوارث" ο επικληρος هي اوضح مثال للقانون العام الذي يوضح انه ليس للمرأة أية حقوق قانونية في الاستحواز أو القصد في ممتلكاتها. وفي احوال اخرى فإن "الوصي" عليها ο κυριος هو صاحب الحق القانوني في تحديد واختيار زوجها، ويتضمن هذا الحق ايضا حق الزوج كوصي علي زوجته في اختيار الوصي عليها، أي زوج لها، قبل وفاته.

لقد استمر الارتباط الوثيق بين المرأة والملكية الخاصة بها في القوانين المنظمة للصداق : فالصداق الذي ينتقل مع المرأة بعد زوجها يصبح تحت سيطرة ومسئولية زوجها